

## خلق شريك جاك ألين ميلير

عندما تذهب لمقابلة محلل نفسي, انت تذهب لمقابلة شريك, شريك جديد لم يسبق لك ان تقابله في حياتكمن قبل, لتبدأ مساراً جديداً من اللعب معه. ولكي تتحقق هذه اللعبة هنالك حاجة لكما الاثنين أنت وهو ,حاضران هناك بجسديكما. واللعبة تُلعب بالكلام فقط. وما هي الضرورة لهذا الامر ؟ لماذا نضيف لحياتنا لعبة الكلام هذه وشريك الكلام هذا, شريك المحادثة الإضافي هذا والذي فوق كل ذلك دعونا نعترف بذلك قلما يتحدث .

نحن نفعل ذلك عندما نضل الطريق مع الشركاء القائمين في حياتنا. ومن المؤكد أن الأمر كان سيبدو أسهل لو كان هنالك شيئاً مثل الغريزة الجنسية. فلو كانت الغريزة الجنسية موجودة لدى البشر لكان الأمر سهلاً, ولما كان التحليل النفسي موجوداً, لأنه في حال كهذه ما كانت هنالك حاجة للسؤال عن أي شيء. . فهنالك في مثل هذا الوضع قوة عمياء, قوة بكفاء توجهك وتقودك الى الشريك الذي تحتاجه, للشريك النموذجي , النمطي ذاك الملائم لك. دون أدنى شك كانسيبدو الأمر مثاليا لو جرت الأمور على هذا النحو. بالمناسبة, هذه هي الفكرة أو المثال قطعاً بما يتعلق بالجنسية لدى الحيوانات. لا حاجة لأن تكون محللاً نفسياً كي تعلم أن الأمور لا تجري على هذا النحو لدى البشر . الجنسية لدى الإنسان لاتعبر من خلال الغريزة. ولا يذهب الانسان مباشرة إلى شريكه. فعليه أن يعبر أولاً بمتاهة, متاهة مرايا كاملة. عليه أن يعبر في طرق مسدودة . جنسية الانسان تتدفق , إشكالية , مليئة بالتناقضات, وبالنهاية ممكن القول مليئة بالألم. لا وجود للغريزة, وإنما معادلات أعقد بكثير: فهناك الرغبة, والتلذذ والحب أيضاً. وبالإضافة لكل ذلك , فكل هذا غير متوافق وغير متجانس ولا يتداخل على نحو يفضي الى شريك مثالي لدينا تجاهه إيمان قاطع بأنه الواحد والوحيد.

لنبدأ بالرغبة. الرغبة ليست غريزة , فالغريزة تعلم, حتى ولو بقيت هذه المعرفة محكمة الإغلاق . تقول الغريزة دوماً الشيء ذاته وبصمت , وهي ثابتة لا تتغير. أما الرغبة فانها على عكس ذلك لا تعرف, وهي دائماً متعلقة بسؤال. الرغبة هي سؤال بحد ذاتها: فما هو الذي يستثير رغبتني حقيقةً؟ وهل هذه هي رغبتني حقا ؟ هل رغبتني جيدة أم سيئة؟أهي مضرّة أم محرمة ؟ وهل ما أظنه رغبتني هو وهم؟ , هذا السؤال حول الرغبة من الممكن أن يؤدي إلى بلبلة تامة والى شللحتى . الرغبة إذا لا تعرف. هناك بالتأكيد ما أطلبه, وما أطلبه هو ما أعتقد أنه رغبتني, ولكن هل هذا ما

أرغبه حقاً؟ وعلى خلاف الغريزة , الرغبة ليست ثابتة. هي متغيرة, ويمكننا القول أنها مؤقتة, تأتي وتذهب . تلتف وتتبعثر أحيانا , تتمركز أحيانا وأحياناً تبطل أو تختفي. عندها أقول أنا ضجر أو مُحَبَط. هأنذا أريد شيئاً, أحدا بشدة. وما أن أحصل عليه وفي اللحظة التي يكون فيها تحت طائلة تلذذي, وكل ما تبقى لي هو أن أتلذذ منه, تذبذب رغبتني. وحتى لو تلذذت منه هل سيكون الأمر أفضل ؟ فجانز, في كل مرة أتلذذ فيها من شيء أو أحد , أن تقل رغبتني فيه تدريجياً. قيمة الشيء الذي أتلذذ منه تدهو أو تقل وبالمقابل تقل رغبتني بهطردياً.

وعليه حتى لو كانت رغبتني جامحة , لا تعطي هذه الرغبة لالي ولا للآخر أي ضمان خالص بالنسبة لنا, لأنه من الممكن للرغبة أن تنقل مكانها, أن تخفت أو أن تضعف مع الوقت. و بالإضافة ليست الرغبة متعلقة بي فقط. بينما الغريزة نعم. من المفترض للغريزة ان تكون مطبوعة بطبيعتي وأن تتصرف بأوتوماتيكية. ليست كذلك الرغبة فهي متعلقة بالظروف, بالوضع , ومتعلقة أكثر من أي شيء بالآخر الذي تتوجه إليه. رغبتني موجودة بعلاقة مع رغبة الآخر وبأشكال متعددة. من الممكن لرغبتني أن تكون صدى لرغبة الآخر. عندها يجب أن يرغب الآخر أولاً لأرغب أنا بدوري. عندها أبحث أنا عن إشارات لرغبته لكي أرغب بدوري . من الممكن أن يفهم من هذا أنأرغب نفس رغبة الآخر وأن أنتظم وفقاً لها . لكن قد يفهم منه أنني مُلزم بأن أرغب رغبة أخرى مختلفة عن رغبتني لكي تكون الرغبة خاصتي فعلا , من أجل أن أكون أنا نفسي, ولكي لا أختفي داخل رغبتني. من الممكن لي حيال رغبة الآخر هذه التي تدعوني, التي تتحداني والتي تريد مني شيئاً وتزعج روتيني اليومي, أن أكرهها, وأن أرغب بالقضاء عليها, أن أنتكر لتشكيلاتها وأن أمحو علاماتها. وهناك شكل آخر أن أجد برغبة الآخر بوصلة لرغبتني. أن تكون تلك عانقا, حدا, قانونا لشيء مانع . ما تقوله هذه الرغبة: ممنوع أن ترغب هذا. أنا أعلم بمكان وجود ما يوقظ ال رغبة, ووفقاً لذلك أعلم أن ما يسبب الرغبة هو ما يقع عليه الشعور بالذنب, والذي لا سبيل للوصول اليه , وهو ممنوع. يمكنني إعطاء أمثلة على هذا لكنني لن افعل. هذه الأمثلة أعطوها أنتم بما أنني أعلم أنه بإمكان كل واحد منكم أن يجد نفسه فيما أقوله هنا, في هذه اللحظة أو تلك , في هذا الجانب أو ذاك , وأن تجدوا أيضاً أقربائكم أو شركائكم. نعم, نعم في هذه التوصيفات وإن كانت ترميزية , من الممكن أيجاد نفسك أو أقربائك, بالضبط لأن الرغبة هي صلة , علاقة حساسة جداً لإشارة الآخر. ولأن الرغبة تنتقل من شخص إلى آخر, فهي إذا متحركة ومتقلبة. وهي أيضاً خديعة بصرية أي أنها تضلل.

انما هنالك شيئاً آخر غير الرغبة وهو التلذذ. وعلى هذا الصعيد تحديداً ليس بمقدورك إيجاد نفسك. على هذا الصعيد لا يوجد شريك إنساني من الجنس الآخر أو حتى من نفس الجنس. ما نجده هناك, طلب من دون توقف, ندعوه وفقاً لفرويد بالحافز. هو طلب مثل العطش لا يمكن أن يرتوي, ومثل الجوع لا يمكن أن يشبع, طلب يعمل كأمر, مُطلق, غير معرف بالكلمات, لا يكل, ويريد المزيد دوماً, لا يعرف حدود أو وقت محدد. ليس له وجه ولا رأس, إنه مقطوع الرأس. وهو غير مربوط بكيان الآخر, يبحث فقط عن تحقيق ذاته, عن اغلاق الدائرة حول نفسه بواسطة الشيء الذي يفسح المجال أمام الجسد للتلذذ من ذاته. هذا الشيء الضروري للحافز وهو ليس بدون ضيق, اعتبره فرويد بالبداية كأجزاء جسد, لكنه انتبه بعدها أن أجزاء الجسد تلك من الممكن استبدالها بطُعم, بأشياء. وما هو هذا الطُعم؟ إنه قطعة القماش التي يطلبها الولد كي ينام والتي بطريقة غامضة تقوم بتهدئته. ولكنه أيضاً موضوع الفن الأكثر تشعباً, أو موضوع التكنولوجيا الأكثر حداثة. وهذا بالنسبة لكل شخص شريك ضروري, إلا أنه غير إنساني. هو لا إنساني حتى (لكي نشير إلى الموضوع a), وهو لا يأخذك مباشرة إلى الشريك الجنسي, إنه مختلف تماماً عن الشريك الجنسي. هذا بدون شك أمر غريب لكنه اكتشاف فرويد الذي يُصنع أو يُحقق. خلال التحليل: ما موجود في جانب الرغبة وما من جانب التلذذ. وهذان الجانبان لا يرتبطان بشكل طبيعي. يوجد فاصل بينهما, هنالك شق بينهما. الايروسية, كما يقولون, ليست كتلة واحدة, انها منشطرة.

من حسن الحظ, أن الحب موجود ما بين الرغبة والتلذذ. فالحب يمكننا من أن نؤمن بأنه من الممكن لكل هذا أن يتماسك سوية: من ناحية الشريك الجنسي اللازم من أجل الرغبة, ومن ناحية أخرى الشريك اللاإنساني اللازم من أجل التلذذ. الحب يمكننا أن نؤمن بأن الأمرين ممكنان في كيان واحد, حتى أنه يجيز لنا الأيمان بأننا الإثنين واحد. وقد يجوز حتى أن تحصلوا بواسطة الحب أو أن تخلقوا شريكا غير عادي, شريكاسام, هو الله بذاته. لكن مهلاً, فالحب عشوائي. الحب مرتبط دوماً بقاء, ولا يتحقق أبداً مع وصفة. إن الدمج ما بين التلذذ, الرغبة والحب له خصوصيته عند كل شخص ومتعلق بالصدفة. وللتحليل النفسي خبرة في هذا الأمر. وهي تخلص دائماً إلى يقين بأن الجنسية, العلاقة مع الجنس, تتحدد عند كل شخص عن طريق الصدفة, من خلال صدفة معينة. ولأن هذا الأمر ليس مكتوباً من البداية تحديداً, فمن غير الممكن إعطائه صيغة عامة تناسب الجميع. على العلم أن يرفع يديه مقابل العلاقة الجنسية لدى البشر. فهذه النقطة لا يمكن إيجاد معادلة مكتوبة بالواقع, معادلة تخضع لها كل علاقة جنسية. من الممكن القول بأن كل الأشياء في هذا العالم تعرف ما عليها أن تفعل, الأجرام السماوية أو الحيوانات, فالأولى تسير بحسب معادلة قوة الجاذبية والثانية

تسير بحسب الغريزة. أما العلاقة الجنسية ما بين الرجال والنساء فليست مبرمجة ولا تسير بحسب خطة مرسومة من البداية.

إذاً وبدل المعادلة الناقصة ماذا يوجد؟ هناك تنوع. تنوع غير متوقع للجنسية البشرية. هناك لقاءات الحب، وعُودات الرغبة وهناك صدمات التلذذ. تلك اللقاءات وتلك العودات كما والصدمات هي دائماً مفاجآت. من غير الممكن توقعها مسبقاً ومقابلها البيداغوجيا عقيمة والوقاية دون شك بلا طائل أيضاً. ذلك، لأن العلاقة الجنسية مع الآخر مبتدعة دوماً، بما أنها غير مكتوبة مُسبقاً. هناك دائماً شئٌ مخترع على مستوى الزوج. وبدون شك هنالك منطوق يوجه عملية الخلق تلك إلا انه غير عام أو لا يمكن تعميمه. هو خاص عند كل واحد ومن الممكن استعادته فقط كتحصيل حاصل وفيما بعد.

وما هو هذا المنطق؟ انه الشكل الذي يتدبر فيه كل شخص أمره مع النقص في البرمجة الجنسية، إن جاز لنا التعبير على هذا النحو. ومع هذا النقص لا يمكن التدبّر على نحو جيد ولا يتم ذلك إلا مع قدر معين من الخلل، أي ما معناه، مع عَرَض. ففي كل مرة يكون فيها لشخص معين ما قد يبدو كعلاقة جنسية، تكون تلك العلاقة على نحو دائم مع طابع عرضي. . الصلة هي اتحاد لا يستجيب بالواقع لأي قاعدة أو مسلمات إجتماعية. القواعد والمسلمات الإجتماعية هي خدعة فقط. ما يقف من خلفها، أو الأكثر واقعي الذي نجده خلفها هو العَرَض. بالتأكيد، هنالك أعراض قابلة للشفاء، وبالامكان التوقف عن الفعل من خلالها. ولكن هنالك العَرَض الذي لا يمكن محوه، ذلك الذي لا يمكن أن نشفى منه، كون مصدره نقصني الواقعي، نقصني النموذج. وفي القانون للعلاقة الجنسية. هذا العَرَض غير القابل للشفاء، والقائم في الجنسية كثنائيات، من غير الممكن حقيقة، أن نجد له حلاً، فيبقى لغزاً، ومن الممكن فقط أن نعمل معه. التحليل النفسي هو تجربة إحاطة، إستخراج وعزل للشكل الذي به التقيّم مع اللغز الجنسي، و لتوضيح الشكل الذي فسّر به لا وعيكم هذا اللغز. إجراء تحليل نفسي هو من أجل إيجاد طريقة أفضل للعمل مع هذا.

**الحلقة ال 14 من سلسلة " قصة من التحليل النفسي "**  
**بُث في France Culture , بتاريخ 16 يونيو 2005 .**

**ترجمة: وردة نصرالله حاج.**

**تنقيح ومراجعة: خليل سبيت.**

مراجعة مقابل الأصل الفرنسي: مراد عمرو.